سلسلة تفريغات

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

الدورة التأصيلية في علم العقيدة

المستوى الثاني

كتاب التوحيد

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

رابط قناة الدورة في التليجرام

رابط الموقع الرسمي

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ

لأي ملاحظة يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني

Drabosalahm1@gmail.com

http://www.drabosalahm.com

@DrAboSalahM

الرجال +965 50110130
النساء +965 97537184

شرح كتاب التوحيد- المجلس الثَّامن

الحمد لله رب العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارَك وأنعم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. وبعد...

هذا هو المجلس الثَّامن من مجالس قراءتنا لكتاب [**التوحيد**] للإمام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ضِمْن الدورة التأصيلية الأُولىٰ في علم العقيدة، ونحن في يوم السبت التَّاسع من شهر جُمادَىٰ عام ١٤٤٤ من هجرة المصطفىٰ ﷺ.

كنَّا قد وقفنا علىٰ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ**)؛ فنبدأ علىٰ بركة الله، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

المتن

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومَن والاه.

اللهمَّ اغفر لشيخنا واغفر لنا وللمسلمِين.

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ:

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ

وقول الله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح: ٢٣] قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تعبد حتىٰ إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت".

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: قال غير واحد من السلف: "لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم"

وعن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: "لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله" أخرجاه.

وعن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والغلو ; فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو".

ولمسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: "هلك المتنطعون – قالها ثلاثا"

الشرح

مناسبة إيراد هذا الباب في كتاب [**التوحيد**]: أنَّه يُبيِّن سبب كُفْر بني آدم.

ولا شكَّ أنَّ الأصل في بني آدم التوحيد، سواء من حيث بدء الخليقة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذريَّته، أو من حيث الفِطرة القلبية الموجودة في الناس.

إذًا... ما هو سبب كُفْر بني آدم ما دام البدءُ كان بالتوحيد، والفِطرة علىٰ التوحيد؟

هذا لا يمكن العلم به من حيث ما مَضىٰ إلَّا بالخبر الصادق؛ أمَّا من حيث الواقع فيمكن للناس أن يُدركوا بعض أسباب كُفْر بني آدم:

فمن حيث الماضي: جاءنا النصُّ في (**أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ ٱلْغُلُوُّ فِي ٱلصَّالِحِينَ**)؛ وهذا السبب (الغُلُو) وهو: مجاوزة الحدِّ في الشيء؛ لأنَّ الغُلو في كل شيءٍ بحسبه، تقول: غَلَىٰ القِدْر. إذا جاوَزَ عن حدِّه، فصار يتساقَطُ المطبوخ من حوافِّه.

وغَلَىٰ في كذا. فبحسبه.

فـ (**ٱلْغُلُوُّ فِي ٱلصَّالِحِينَ**): مجاوزة الحدِّ في تعظيمهم، مجاوزة الحدِّ في حقوقهم:

مجاوزة الحدِّ في تعظيمهم: بحيث صار الناس يركعون لهم، يسجدون لهم.

أو مجاوزة الحدِّ في حقوقهم: بحيث صار من الناس مَن يتوجَّهُون إليهم بالعبادة متناسِين أنَّ العبادة حقٌّ لله عَزَّوَجَلَّ.

أو مجاوزة الحدِّ في الصالحِين في حقوقهم: بإعطائهم حقًّا لا يستحقُّونه، فيُصبغُون عليهم صِبغة الربوبيَّة.

✸ وهذا هو سبب كُفر بني آدم: (**اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ**)؛ وهذا السبب هو السبب الأول.

✸ **والسبب الثاني**: الجَهْل، وتَرْك العلم المُنزَّل؛ لهذا جاء في رواية ابن عباس: (**فَنُسِيَ اَلْعِلْمُ**) أو «**نُسِّيَ الْعِلْمُ**».

✸ **السبب الثالث من أسباب كُفْر بني آدم**: متفرِّعٌ علىٰ هاذَيْن السببَيْن؛ الثالث: اتِّباع الآباء والأجداد، وهذا متفرِّع علىٰ مسألة الغُلوّ في الآباء والأجداد:

معقول آباءنا علىٰ ضلالة؟!

معقولة أجدادنا ما يفهمون؟!

وهي الشُّبْهة الملعونة في تسويغ الشِّرْك، وفي تسويغ الكُفر (**اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ**)؛ ينتُج عن تقليد الآباء والأجداد.

هناك سببٌ رابع وهو: الإيباء والاستكبار؛ يعلم الإنسان أنَّ الحقَّ هو التوحيد، الحق في التوحيد؛ لكنَّه يأبَىٰ، يستكبِر لأي سببٍ من الأسباب.

فهذه أربعة أسباب هي من أسباب كُفْر بني آدم وتَرْكهم دِينهم، وإنَّما خصَّ المصنِّف الأول لأنَّه مبتدأ الشرور، ومبدأ الغرور، وبداية الظلام؛ **(اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ)**.

واستدلَّ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب بآية وأربعة أحادِيث **(بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ)**. **(مَا جَاءَ)**؛ هنا: **(مَا)**؛ ليست نافية؛ ما هي؟ **(مَا جَاءَ)**؛ **(مَا)**؛ هنا مصدريَّة، أي: بابُ مجيء ما يدلُّ أنَّ سبب كُفْر بني آدم وتَرْكهم دِينهم هو الغُلوُّ في الصالحِين.

أو يمكن أن يُقال: أنَّ **(مَا)**؛ بمعنىٰ الموصولة؛ أي: الذي جاء، **(بَابُ مَا جَاءَ)**؛ أي: الذي جاء من الدليل أنَّ سبب كُفْر بني آدم وتَرْكهم دِينهم هو الغلوُّ في الصالحِين.

وقد عرفنا معنىٰ «الغُلُوّ».

أورَدَ «آية النساء»، وفيها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾؛ مُطلَقًا، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ وخصَّ أهل الكتاب بالخِطاب لأنَّ «الغُلُو» من غيرهم أمرٌ قد لا يُستَغرَب لعدم عِلمهم؛

أمَّا أن يغلو أهل الكتاب فهذا معِيبٌ عند أُولِي الألباب ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾

وفيه دِلالة أنَّ المنزَّل عليهم الكتاب قد يضلُّون بسبب الغُلُو مع وجود الكتاب عندهم؛ فغيرهم من باب أَوْلَىٰ أنَّ الغُلُو يُضلُّهم.

صور الغُلو كثيرة لا يمكن حَصْرها؛ لكن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب خصَّه بنوعٍ منه هو: (**اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ**)؛ لماذا؟

لأنَّ الغُلوَّ في الصالحِين هو المُوصِلُ إلىٰ الشِّرْك والكُفر، بخلاف الغُلو في غيرهم.

الغُلو في غيرهم قد يصل إلىٰ ماذا؟ إلىٰ شحناء وبغضاء، يعني: إنسان يغلو في حبِّ إنسانٍ آخر، مثلًا: يغلو في حبِّ -فَلْنفرض مثلًا- رياضي، في حب اقتصادي، في حب سياسي؛ يؤدِّي إلىٰ الشحناء والبغضاء؛ هذا غاية ما في الأمر؛ لكن لن يؤدِّي إلىٰ عبادته، لماذا؟ لأنَّ القلوب تأبَىٰ الإذعان لأهل اللَّهو واللعب، ولأهل الدنيا، القلوب دائمًا ميَّالة إلىٰ طاعة أهل الدِّيانة؛ لهذا قال: (**اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ**). فَهِمنا وجه التخصيص؟ (**فِي اَلصَّالِحِينَ**).

ومن صور الغُلو أيضًا: إنزال النبي منزلة الربِّ -تعالىٰ الله عن ذلك-، كقول بعض اليهود في عُزَير، وكقول النصارَىٰ في عيسَىٰ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]؛ الـ (أل) للعهد، يعني: بعض اليهود.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى﴾؛ يعني: بعضهم، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾؛ لأنَّ في النصارَىٰ مَن يعتقد أنَّ المسيح هو الله مو ابن الله، وفي النصَارَىٰ مَن يعتقد الثالوث؛ فهذا من صور الغلو.

من صور الغلو: تنزيل الوليِّ منزلة النبي؛ كاعتقاد غُلاة المتصوِّفة أنَّ الأولياء أفضل من الأنبياء -عياذًا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ فهذا بابٌ خطير (**الغُلُوُّ**).

ومن هنا لماذا قلنا: الغُلو أخطر الأسباب؟ لأنَّه مبدأ الأسباب، بداية الظلام.

ولمَّا كان الأمر كذلك نجِدُ أنَّ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يرمِي الجمرات قال بيَدِه هكذا يُرِي الناس الجمرات في يده، وهي لا تتجاوزُ الأنملة، فيقول للناس: «**بِمِثْلِ هَذَا فَارْمُوا؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**».

قد الإنسان يسأل: أيش علاقة الغلو في رَمْي الجمرات، رَمْي الشيطان، رَمْي الجمرات الثلاث؛ أيش علاقة هذا بالغُلو؟

لا، الغُلو يبدأ صغير ثم يكبر فيكبر فيكبُر فيكبُر..... حتىٰ يصلَ إلىٰ ما لا يُحمَد عُقباه؛ ولهذا ينبغي إيقاف الغُلو أيَّما كان.

ثم أورَدَ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثَر ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ في قصة قوم نوح ﴿قَالُواْ﴾؛ يعني: قوم نوح.

﴿لَا تَذَرُنَّ﴾؛ أي: لا تترُكُنَّ.

﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ يعني: معبوداتكم التي تعبدونها وتُقرِّبكم إلىٰ الله. ﴿وَلَا تَذَرُنَّ﴾؛ تأكيد، فأتَىٰ بالفعل مرةً أخرىٰ للتأكيد.

﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ ؛ يعني: جميع معبوداتكم التي تعبدونها مع الله، لا تتركونها لقول نوح.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ﴾؛ علىٰ وجه الخصوص.

إذًا... الأُولَىٰ عامة، والثانية خاصة.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾؛ «ودٌّ، وسواع، ويَغُوث، ويَعُوق، ونَسْر»؛ هذه خمسة أسماء يقول ابن عباس كما (**فِي اَلصَّحِيحِ**)؛ يعني: في [**صحيح البُخاري**]: (**هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ**)؛ شوفوا كيف! خمسة أسماء لرجالٍ صالِحين.

(**مِنْ قَوْمِ نُوحٍ**)؛ وجاء في بعض الروايات: أنَّهم كانوا أترابًا متساوِين، وكانوا في العلم متقارِبين، وعلىٰ الزَّهادة والزُّهد والوَرَعِ متناصِرين؛ فهَلَكوا في عامٍ واحد في فترة متقاربة جميعهم (خمستهم).

(**فَلَمَّا هَلَكُوا**)؛ يعني: ماتوا.

(**أَوْحَىٰ اَلشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ**)؛ كيف يُوحِي الشيطان؟ الشيطان وحيُه له صورتان، احفظهما ولا تنساهُما:

الصورة الأُولىٰ: بالوسوسة؛ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]؛ فهذا من وحي الشيطان (الوسوسة)؛ فالوسوسة الباب الأعظم من أبواب إيحاء الشياطِين.

الباب الثاني: أنَّ الشيطان يتمثَّل علىٰ صورة رجلٍ صالح.

فهنا (**فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ اَلشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ**)؛ بأن صوَّرَ نفسه صورة رجلٍ كبيرٍ مُسِنٍّ كما فَعَلَ مع مَن؟ مع كُفَّار قريش، دخَلَ عليهم وهُم في دار الندوة يتشاورُون ماذا يفعلون بمحمدٍ ﷺ؟ فأشار إليهم أن يختاروا من كل قبيلةٍ رجلًا جَلْدًا قويًّا، معهم سيوفهم، فيذهبون ويُحاصرون بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حتىٰ إذا خرَجَ ابتدروه بسيوفهم فتوزَّعَتْ دمه بين القبائل، لم تستطع قريش المطالبة بشيء.

فاستحسَنَ أبو جهل رأي هذا الأعرابي الذي جاء وتمثَّل لهم بصورة ناصح.

(**فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ اَلشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ**)؛ قلنا: بأن تمثَّل لهم، كما تمثَّل وين بعد؟ في غزوة بدر؛ في غزوة بدر لمَّا جاء المشركون أرادوا أن يرجعوا

من نِصف الطريق؛ فتمثَّل لهم الشيطان بصورة رجلٍ من بني جعشم، وقال: إنِّي جارٌ لكم، وأنا معكم، ولا تخافوا ما أحد يجيكم من ظَهْركم ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٨] فالشيطان يتمثَّل.

ماذا قال لقوم نوح؟ (**أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا**)؛ الأنصاب: جمع نُصُب، والنُّصُب: التِّذكار، شيء يُذكِّركم بهم، شنو يُذكِّركم فيهم؟

مثلًا: والله كانوا مشهورِين بأن عندهم عصايا؛ يحطُّوا العصا علىٰ قبر فلان لأنَّه كان يمشي بالعصا.

فلان كان مشهور أنَّه يمشي بالعمامة الحمراء؛ حطُّوا العمامة الحمراء علىٰ قبره.

فلان مشهور أنَّه كان يمشي بالسيف؛ خذوا السيف وحطُّوه علىٰ قبره.

كل ما مررتَ من عند قبره ماذا يحصُل لكم؟ يحصُل لكم تذكُّرٌ لأحوالهم؛ فتزدادُون ورَعًا وزهادةً في الدنيا؛ شوف كيف إبليس يُزيِّن للناس؟!

(**وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ**)؛ يعني: في مناسبة بين الأنصاب وبين أسمائهم، هذا نُصُب وُدٌّ، وهذا نُصُبُ سِواع، وهذا نُصُب يغوث، وهذا نُصُبُ يعوق، وهذا نُصُب نَسْر.

(**فَفَعَلُوا**)؛ ما كان عندهم هؤلاء العلماء العُبَّاد توُفُّوا في سنةٍ واحد، ما كان عندهم أحد يقول لهم: لا.

أو عندهم؛ لكن ما أحد يسمع لهم.

(**فَلَمْ تُعْبَدْ**)؛ هنا ينبغِي أن يكون للعالِم نظرة بعيدة، لعلَّ الذين كانوا موجودِين ما نظَروا إلىٰ البعيد؛ نَظَروا إلىٰ القريب، ما فيها شيء مجرَّد وَضْع خشبة علىٰ القبر ما فيها شيء، ما قالوا: لو كان خيرًا لسبَقَنا إليه آدم.

ما قالوا: لو كان خيرًا لسبَقَنا إليه -مثلًا- شيث.

ما قالوا: لو كان خيرًا لسبَقَنا إليه فلان وفلان.

(**فَلَمْ تُعْبَدْ**)؛ يعني: من هذا الجيل الذين أدركوا شيئًا من حياة هؤلاء الصالحِين، وأدركوا مماتهم.

(**حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ**). (**هَلَكَ أُولَئِكَ**)؛ الضمير راجع إلىٰ مَن؟ إلىٰ الجيل الذي كان حاضرًا موت أولئك الرجال الخمسة، فشَهِدوا شيئًا من منتهَىٰ حياتهم، وشَهِدوا مبدأ موتهم.

(**وَنُسِيَ اَلْعِلْمُ**). (**نُسِيَ**)؛ بمعنىٰ: تُرِك، لماذا تُرِكَ؟

إمَّا لأنَّ هؤلاء الخمس لم يخلُفوا علماء.

أو (**نُسِيَ اَلْعِلْمُ**)؛ بمعنىٰ: تُرِكَ العلم بسبب اشتغال الناس بالنُّصُب والتذكار واللهو واللعب، و.... و.... إلىٰ آخره.

مثل ما هو حاصل اليوم في بعض الأزمنة وفي بعض البُلدان، أنَّه يُقام درس لا يحضُر له أحد؛ يُقام شيء له لعب كل الناس يحضرون؛ فتُرِكَ العلم وصار حال الناس الانشغال بالأنصاب، والنُّصُب والتذكاريَّات والذكريات. كما يُقال، والمُلْهيات واللعب، وغير ذلك.

(**وَنُسِيَ اَلْعِلْمُ**). (**نُسِيَ**)؛ بالبناء لِمَا لم يُسمَّ فاعلًا.

وفي بعض الروايات -وذكَرَ هذا الحافظ ابن حجر-: أنَّ الكلمة ضُبِطَتْ بـ «**وَنُسِّيَ الْعِلْمُ**»، و «**نُسِيَ**» بالتشديد بمعنىٰ: أنَّه لم يبقَ له أثر.

(**عُبِدَتْ**)؛ في بعض الروايات: أنَّ هذا الذي حصل كان فيه تدرُّج؛ أيش التدرُّج كما في كُتُب التاريخ؟

التدرُّج وذَكَر الثعالبي في كتاب [**الأصنام**] له كتاب اسمه [**الأصنام**] كتاب جميل يُبيِّن كيف كان الشِّرْك في جزيرة العرب؟ كيف صار؟ وكيف عُبِدَتْ الأصنام؟ ينبغي لطالب العلم أن يقرأه.

كتاب [**الأصنام**] للثعالبي ذكَرَ أنَّ لمَّا مات هؤلاء الجيل اللي حَضَروا الجنازة وَضَعوا أيش؟ تذكار، اللي هو النُّصُب. مثل ما إحنا في بعض المقابر اليوم يضَعُون تذكار «المرحوم فلان بن فلان بن فلان بن فلان» مثلًا، ويحطُّون عليه رخام، ويحطُّون عليه طابوق، وكذا.

ذكر أنَّ الجيل الذي جاء بعدُ شالوا هذه الأصنام، وأخَذوا من الجيل الذي قبله صورهم؛ كيف كانت صورة وُدّ؟ قالوا: كذا... كذا... كذا. جابوا الرسَّام رسموه، فوَضَعوا لهم أصنامًا علىٰ قبورهم أو عند قبورهم، قالوا: أنتم تعرفونهم؛ إحنا ما نعرفهم، إحنا ما شُفناهم، فإذا مرَّيْنا علىٰ القبر شُفنا صورته فتذكَّرناه.

الجيل الذي بعده عَبَدوا الصنم. فلاحظ الآن كيف انتشَرَ الشِّرْك عياذًا بالله؟

(**قَالَ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ**)؛ أبو بكر ابن القيِّم الجَوْزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(**قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ اَلسَّلَفِ**)؛ من أين نَقَلَ السلف هذا الكلام؟ سواء ابن عباس أو غيره.

نَقَلوا هذا الكلام من طريقَيْن:

إمَّا من طريق السَّماع من سيد الخَلْق -صَلَوَاتُ ربي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-؛ فيكون له حُكم الرَّفْع مثل الحديث السابق عن ابن عباس اللي رواه البُخاري.

وإمَّا -وهذه الصورة الثانية- أن يكون السلف قالوا هذا الكلام أَخْذًا من كُتُب التواريخ، والمسائل التاريخيَّة أَخْذُها من كُتُب التاريخ لا بأس بذلك ما دام يُوافق الشَّرْع الذي عندنا ولا يُخالفه.

وهذا من معاني قوله تعالىٰ عن القرآن: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ أيش معنىٰ ﴿مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾؟ حاكمًا عليه، فإن كان الخبر يحكِي شيئًا صِدْقه في القرآن نقبل مثل هذا الآن.

(**قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ اَلسَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا**)؛ الضمير (واو الجماعة) راجع إلىٰ مَن؟ إلىٰ الخمسة (وُد، وسواع، ويَغُوث، ويَعُوق، ونَسْر)؛ هل كان وُدٌّ وسواع ويغوث ويعوق ونَسْر كانوا عرب ولَّا كانوا عجم؟ سؤال غريب؛ ها!

الصحيح: أنَّهم كانوا عربًا، وممَّا يؤكِّد عروبتهم: أنَّ أسماءهم مُعرَبة، والأصل في الأسماء الأعجميَّة أنَّها لا تُعرَب؛ وُدًّا، وسواعًا؛ هذه من فوائد اللغة العربية.

لكن العربية التي كانت ليست هي العربية التي تكلَّم بها إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تكلَّم بالعربية الفُصحَىٰ.

(**قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ اَلسَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا**)؛ قلنا: (**مَاتُوا**)؛ واو الجماعة راجع إلىٰ الخمسة الأصنام.

(**عَكَفُوا**)؛ راجع إلىٰ مَن؟ (**عَكَفُوا**)؛ راجع إلىٰ الذريَّة، إلىٰ الجِيل الباقي.

(**عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ**)؛ لاحظ! حصل عكوف، حصل تصوير بعد النَّصْب.

إذًا... نُصُب، ثم عكوف، ثم صور، ثم عبادة، شوفوا المراحل الأربعة:

- **نُصُب تذكارية.**
- **بعدين عكوف ملازمة للقبر**: مو في الشهر مرة نروح نتذكَّرهم، لا... خلُّونا في الأسبوع مرة، لا.... خلُّونا في كل يوم مرة، لا... لازم في ناس يقعدون عند القبر يصير لهم سَدَنة؛ ما معنىٰ العكوف عند القبور؟

قال: ﴿أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢]؛ ما معنىٰ ﴿عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾؟ يعني: ملازمون؛ فصار عندهم أيش؟ لزوم عند القبور.

- **ثم صوروا تماثِيلهم** -**هذه الثالثة**-: صوَّروا التماثِيل، ما اكتفوا بالنُّصُب، قالوا: نجيبوا شلون صورهم؛ خلِّ نحطّ صُورهم.

(**ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ اَلْأَمَدُ**). (**اَلْأَمَدُ**)؛ يعني: الزمان:

- **إذا كان في الماضي يُقال**: الأمد.
- **وإذا كان في المستقبل يُقال**: الأبد.

(**ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ اَلْأَمَدُ**)؛ الأمد والأبد معنىٰ متقارِب، بمعنىٰ: الزمن.

(فَعَبَدُوهُمْ)؛ نسأل الله السلامة والعافية! نسأل الله أن يعيذنا وإيَّاكم وذرِّياتنا من الشيطان ومن الشِّرْك، ومن الأوثان!

تأمَّلوا أنَّ كاسِر الأصنام مَن؟ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ماذا قال؟ ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]؛ يا الله! لهذا يقول إبراهيم التَّيْمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن ذا الذي يأمَن على نفسه بعد إبراهيم؟!

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي كسَّرَ الأصنام يقول في دعائه متضرِّعًا خاشعًا: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾؛ ويجي إنسان يقول: لا، وين الشِّرْك؟ الشِّرْك بعيد عنَّا. لا حول ولا قوة إلَّا بالله!

طالب: ..... (٢١:٢٨:٠٠).

لا، هذا كلام كذب، إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربَّاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على التوحيد، وكلُّ الأنبياء يربِّيهم الله جَلَّ وَعَلَا قبل النبوَّة، ولا يمكن أن يعبدوا شيئًا غير الله عَزَّ وَجَلَّ.

أمَّا الآية التي في «سورة الأنعام» ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ يقول ابن عباس حَبْر الأُمَّة، وتُرجمان القرآن، وغيره: كان مناظرًا ولم يكن ناظرًا. يعني: هذا على سبيل التنزُّل.

نحن الآن -مثل ما نقول- قد نقول للنَّصراني: افرض أنَّ الرُّوح التي في جنبَيْ عيسىٰ في الصورة الناسُوتيَّة هي لاهوتيَّة؛ هل يَلزم من هذا أن يكون إلهًا؟ لمَّا أنا أقول هذا الكلام مو معناه إنِّي أنا نظرْتُ إلىٰ هذه المسألة وقَبِلتُ صحَّتها؛ أنا الآن مُناظِر.

فإن قال النصراني: نعم، هو كذلك. تقول: إذًا... يلزمك أن تقول بألوهيَّة آدم لأنَّ الله نفَخَ فيه من روحه.

فإن قال: لا، ليس آدم إلهًا. إذًا... يلزمه أن يقول: ليس عيسىٰ إلهًا.

فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان مُناظِرًا.

ثم أورد المصنِّف حديث عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: (**أَنَّ رَسُولَ اَللهِ** ﷺ **قَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ اِبْنَ مَرْيَمَ؛ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اَللهِ وَرَسُولُهُ»**)؛ أصل الإطراء معناه: المديح والثناء.

إذًا... معنىٰ (**لَا تُطْرُونِي**)؛ أي: لا تمدحُونِي.

(**كَمَا**)؛ أي: مثلما.

امدحُونِي بأي شيء إذًا؟ نمدحه بما مَدَحَه الله به، نمدحه بما مَدَحَ به نفسه، نمدحه بما مَدَحَه به أصحابه؛ غير هذا ما نأتي به؛ لماذا؟

لا يمكن أن يأتي أحد فيمدح النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مثل مدِيح ربِّ العالمين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

لا يمكن أن يأتي أحد فيمدح النبي ﷺ بلا غُلُوٍّ ولا جفاء مثل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْر، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً**».

ولا يمكن أن يأتي أحد فيمدح النبي ﷺ خاليًا من الغُلُوِّ والجفاء مثل الصحابة.

معنىٰ هذا: كلُّ مديحٍ فيه بعد مَدْح الله ورسوله والصحابة فماذا سيكون؟ لا بد وأن يعتريه أحد أمرَيْن:

- إمَّا جفاء.
- وإمَّا غُلُو.

واضح؟ يعني: ينبغي الوقوف علىٰ النصوص (نص الكتاب، نص السُّنَّة، نص الأصحاب).

(**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ اِبْنَ مَرْيَمَ**). (**أَطْرَتْ**)؛ يعني: مدَحَتْ وأثنَتْ، النصارَىٰ أرادوا مَدْح ابن مريم فمدحُوه بأي شيء؟ مَدَحوه بما ليس فيه وليس

له، مَدَحوه بصِفات الربوبيَّة، ومعنىٰ هذا: أنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُحذِّرنا من الغُلُوِّ في شخصه وذاته.

النصارَىٰ ماذا قالوا عن ذات عيسىٰ؟ اختلفوا إلىٰ ثلاثة أقوال:

منهم مَن قال: إنَّه هو الله. يعني: الحلول والإتحاد.

ومنهم مَن قال: إنَّه ابن الله. تعالىٰ الله عن ذلك.

ومنهم مَن قال: إنَّه ثالث ثلاثة.

فكلُّهم دخلوا في الغُلُو (**أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ اِبْنَ مَرْيَمَ**)؛ غَلَتْ، والإطراء: الغُلُوُّ في المديح.

وخصَّ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالذِّكْر؛ لماذا خصَّه؟ لأنَّه أكثر نبيٍّ غُلِيَ فيه.

يعني: ما نجد أحد الآن يعبُد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أنَّ هو أبو الأنبياء. صح ولَّا لا؟

ما نجد أحد يعبُد سُليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أنَّه مَلِك، يعني: هو نبيٌّ وملِك.

لكنَّا نجد مَن يعبُد عيسىٰ مع الله.

ولذلك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذَّرَ من مِثل هذا الإطراء (**كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ اِبْنَ مَرْيَمَ**)؛ معناه: امدحُوني بما مَدَحنِي الله به، امدحُوني بما مَدَحْتُ

به نفسي؛ فأنا خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ، امدحُوني بما مدَحَني به أصحابي، كما قال حسَّان: لأُخرجنَّكَ من بينهم كما تُخرَج الشعرةُ من العجين.

ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**). (**إِنَّمَا أَنَا**)؛ أسلوب حَصْر. صح ولَّا لا؟ (**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**)؛ حَصْر؛ أي: أنَّ ذاته لا تخرُج عن العبوديَّة، لا تخرُج عن كونه مخلوقًا، وما دام أنَّه مخلوق، وما دام أنَّه عبدٌ؛ فما دام أنَّه مخلوق لا يكون له شيء من أوصاف الخالِق.

وما دام أنَّه عبدٌ فلا يكون له شيء من أوصاف العبودية التألُّه والألوهيَّة الذي هو حقُّ الله جَلَّ وَعَلَا.

(**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**)؛ هذا الأسلوب الحصري لغَلْق الباب علىٰ مَن يريد إخراج شيءٍ من خارج إطار الخَلْق والعبوديَّة (**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**).

ونحن في التشهُّد ماذا نقول في الصلاة؟ «أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله».

في الأذان ماذا نقول؟ «أشهد أنَّ محمدًا رسول الله».

لاحظ! (**فَقُولُوا: عَبْدُ ٱللَّهِ وَرَسُولُهُ**)؛ (**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**)؛ يعني: في ذاته.

(**فَقُولُوا: عَبْدُ ٱللَّهِ وَرَسُولُهُ**)؛ أي: في الخبر عن ذاته وعن صِفاته.

فهو عبد الله في الذات، ورسول الله في الصفات؛ فهو صِفته الرسالة.

ومعلومٌ أنَّ المُرسِلَ غير المُرسَل:

المُرسِل: هو الله.

والمُرسَل: هو رسول الله.

والجمع بين العبوديَّة والرسالة كما قال الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لشهادة التحيات -له رسالة خاصة في تفسير التحيَّات جميلة جدًّا رائعة ما رأيتُ أروع منها-، هذه الرسالة يقول فيها: «فقوله: **(عَبْدُ اَللهِ وَرَسُولُهُ)**؛ قال: عبدٌ لا يُعبَد، ورسولٌ لا يُعصَىٰ». جميل، جميل جدًّا.

وفيه ردٌّ علىٰ غُلاة المتصوِّفة والمتشيِّعة؛ فهو عبد الله لا يُعبَد، ورسولٌ لا يُعصَىٰ؛ فيه ردٌّ علىٰ المعتزلة وأذنابهم من الليبراليِّين والعلمانيِّين، وغيرهم.

ووجه إيراد هذا الحديث في الباب واضح، وهو: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا كان نَهَىٰ عن مَدْحه بما يُشبه مَدْح النصارَىٰ من إعطاء حقِّ الله للمخلوق؛ فنهانا عن ذلك، وقرَّرَ لنا عبوديَّته؛ فمعنىٰ هذا: يجب علينا أن نبتعد عن الغُلُوِّ في غيره.

ما يجيك أحد تقول له: الشيخ عبد القادر الجيلاني. يقول لك: الغَوْث الأعظم.

يا مسكين الغَوْث الأعظم هو الله؛ شنو الغَوْث الأعظم؟! هذا مات مريض مَرِضَ في الدنيا.

ما ت تقول له: الغَوْث الأعظم. تقول له: هذا ولي من أولياء الله.

قال: لا؛ هذا وليٌّ يأمُر البحر فينفلِق. لا حول ولا قوة إلَّا بالله، والله أمر عجَب!

كنتُ في أحد الدورات العلمية في السودان فأخَذَني بعض الشباب إلىٰ قبر مبني عليه بُنيان، وبجواره مسجد، يزعمون أنَّ هذا القبر لأحد الأولياء، ما الذي كُتِبَ علىٰ القبر في نظرِكم؟ والله الذي لا إله إلَّا هو كُتِبَ علىٰ القبر ما لم يتجرَّأ فِرعون علىٰ قوله، فِرعون غاية ما تجرَّأ عليه أيش قال؟ ما قال: ربُّ الدنيا. صح؟ قال: ربُّكم الأعلَىٰ. خاطَبَ أهل مصر بس، هذا تجريئته يعني، ما تعدَّىٰ حدود مصر.

لكن هذا أيش كاتب؟ أنا أقول لكم أيش كاتب راح تضحك، يقول: أنا الذي حَمَلَ نوحًا في السفينة، أنا الذي حَمَىٰ إبراهيم من النار، أنا الذي فَلَقَ البحر لموسىٰ. هذا موجود في كل جملة قالها، غطَّىٰ علىٰ فِرعون هذا.

طيب... إذا كان هذا مو كُفر، مو شِرْك! يقولوا: ولي. أيش ولي يعني؟ مو ولي هذا؛ يا إمَّا إنَّه شيطان أكبر من إبليس، يا إمَّا إنَّه الله؛ ما يمكن هذه الصفات تكون لغير الله. هذه مصيبة عظيمة. نسأل الله السلامة والعافية!

فإذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهانا عن الإطراء فيه؛ فغيره من باب أَوْلَىٰ.

قال: (**وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ** ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**)؛ ماذا نُسمِّي أسلوب (**إِيَّاكُمْ**)؟

طالب: ..... (٣٦:٤٠:٠٠).

نعم، تحذير، (**إِيَّاكُمْ**)؛ يعني بمعنىٰ: احذروا، (**إِيَّاكُمْ**)؛ بمعنىٰ: أُحذِّركم.

(**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**)؛ يعني: أُحذِّركم من الغُلُوِّ؛ فاحذروه.

لماذا يُحذِّرنا من الغلو صَلَوَاتُ ربي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ؟ يقول: (**فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اَلْغُلُوُّ**).

أحَبَّ أباه فأطاعه في معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

أطاع شيخه فأحبَّه حُبًّا جمًّا فأطاعه في مخالَفة أمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أحبَّ حاكمه فأطاعه في التحليل والتحريم.

أحبَّ الولي فظنَّ أنَّه ليس بخلي؛ فصار يُعطِي له صِفات العلي. نسأل الله السلامة والعافية!

(**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**)؛ أي: أُحذِّركم من الغُلُوِّ.

طبعًا هنا (**وَالْغُلُوَّ**)؛ منصوب علىٰ الإغراق، منصوب علىٰ التحذير، احذروا الغُلُوَّ، اجتنبوا الغُلُوَّ، اتركوا الغُلُوَّ؛ منصوب علىٰ التحذير والإغراق.

(**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا**)؛ هذه «فاء» تسمَّىٰ الترتيبيَّة؛ لماذا يُحذِّرنا من الغُلُوِّ؟ بسبب (**فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اَلْغُلُوُّ**).

تأمَّل الآن في التاريخ قبل دِين الإسلام! النَّصارىٰ هَلَكوا بسبب غُلُوِّهم في عيسىٰ.

النصارَىٰ هَلَكوا بسبب غلُوِّهم في عُزير.

بسبب غُلُوِّهم في أحبارهم ورُهبانهم.

قوم إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ (مُشركو العرب) هَلَكوا بسبب غُلُوِّهم في قُصَيّ بن كِلاب، في عمرو بن وُدّ؛ أطاعوه في وَضْع الأصنام عند الكعبة.

قوم نوح هلَكوا بسبب الغُلُو.

إذًا... هذه قاعدة مضطردة «إذا رأيتَ قومًا هَلْكَىٰ، وعلىٰ الشِّرْك أبناءً وآباءً تَتْرَىٰ؛ فاعلم أنَّ سبب ذلك الغُلُوَّ».

الذين يعبدون بُوذا بسبب الغُلُوَّ؛ وإلَّا ما يمكن أن الإنسان يعبُد صنم، حاطين له أربعة أيدِي وأربعة أرجُل، وإذا قلتَ له: الله يرزقك ولد مثله. يقول: أعوذ بالله. (٤٤:٤٣). والله.

أنا ركبت مرة تاكسي وصاحب التاكسي كان بوذي (حاطّ صنم بوذا)، قلتُ له: أيش هذا؟ قال: هذا بالإنجليزية (My god).

قلتُ له: (Your god) اللي أوجَد لك السماء والأرض. قال: صح؛ بس هذا واسطة.

قلتُ: الله يرزقك ولد مثله. قال: ليش؟ يقول: ليش؟ غَضِب.

قلتُ: ليش تغضب؟ قال: أيش يسوِّي ولد عنده أربعة أيدِي؟ أيش يسوِّي؟

قلتُ له: طيب أنت إلهَك اللي تعبُده اللي عنده أربعة أيدي وأربعة أرجُل؛ أيشلون تقبل؟

لذلك يا إخوة الغُلُوُّ مصيبة.

قال: (**وَلِمُسْلِمٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ** ﷺ**قَالَ**: «**هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ**»)؛ شوفوا دِقَّة تصنيف الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ:

- **الآية**: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾؛ صار النَّهْي عن الغُلُوِّ الدِّيني.
- **بعدين**: حديث عُمر (**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ اِبْنَ مَرْيَمَ**)؛ نَهْيٌ عن الإطراء والمديح، والغُلُوِّ في ذلك.
- **بعدين**: حديث ابن عباس؛ نَهْيٌ عن الغُلُوِّ مُطلَقًا.

لاحظ:

- الآية: نهيٌ عن الغُلُوِّ الدِّيني.

- **الحديث**: نَهْي عن الإطراء والمديح والغُلُوِّ فيه، وهذا قولي.
- (**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**)؛ مُطلَقًا.
- طيب... الإطراء (**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ**)؛ إطراء دِيني ولَّا مو دِيني (إطراء النبي)؟ دِيني؛ فنَهَا عنه.

نَهْيٌ عن الغُلوِّ الدِّيني... نَهْيٌ عن الإطراء الدِّيني... نَهْيٌ عن الغُلُوِّ مُطلقًا (**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**) ... نَهْيٌ عن التنطُّع الذي يكون باللسان مُطلَقًا في حديث ابن مسعود..... ترتيب بدِيع.

(**هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ**)؛ ما معنىٰ التنطُّع أولًا؟

التنطُّع: «تنطَّعَ فلانٌ؛ فهو متنطِّع»؛ المتنطِّع: اسم فاعل، ما معنىٰ «تنطَّع فلان؛ فهو متنطِّع»؟ أي: تكلَّمَ بنِطْعِ كلامه، ونِطْعُ الحَلْق: أعلاه؛ فهو -إذا صحَّ التعبير- نقول: الجوف الفارغ فوق اللسان ممَّا يلي الحَنَك الأعلَىٰ. هذا النِّطْع.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ**)؛ لأنَّهم يتكلَّمون علىٰ سبيل الفَخْر والغُلُو في الكلام، يتكلَّم بطريقة التفخِيم، التعظيم.

(**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**)؛ مُطلَقًا، إيَّاكم والتفخِيم والتعظيم في الكلام؛ ليش؟ (**هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ**)، فإذا كان «هَلَكَ المُتنطِّع»؛ فالمتنطِّع هَلَكَ بسبب تنطُّعه في الكلام.

ما الذي يدلُّنا علىٰ هذا؟ (**هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ**)؛ ربَطَ الهلاك بالوَصْف؛ لأنَّ اسم الفاعل وَصْف. ولَّا لا؟ اسم الفاعل، اسم المفعول، صِيغة (أفعَل) التفضيل؛ هذه أوصاف، فلمَّا قال: (**هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ**)؛ فَهِمْنَا أنَّ سبب هلاكهم تنطُّع أقوالهم. فهِمْنا؟ وهذا المعنىٰ هو المراد هنا.

وإن كان يجوز في التفسير أن يُقال: (**هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ**)؛ لأنَّهم تنطَّعوا في الكلام كِبرًا، هذا ممكن.

لكن مراد الإمام التفسير الأول (**هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ**)؛ بسبب تنطُّعهم وتفخِيمهم وتعظِيمهم الكلام الذي أدَّىٰ إلىٰ الغُلُوِّ.

إذًا... هذه الأحادِيث كلُّها واضحة الدِّلالة في أنَّ الغُلُوَّ سببٌ للهلاك:

- مبدأً.
- أو توسُّطًا.
- أو انتهاءً.

لكنَّه طريقٌ أفيَع مع الأسف الشديد، طريقٌ أفيَع لإبليس يضِلُّ به العباد، ويُدخلهم في التلبِيس.

المتن

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **اَلْأُولَىٰ**: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا اَلْبَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ اَلْإِسْلَامِ، وَرَأَىٰ مِنْ قُدْرَةِ اَللهِ وَتَقْلِيبِهِ لِلْقُلُوبِ اَلْعَجَبَ.
- **اَلثَّانِيَةُ**: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ علىٰ وجه اَلْأَرْضِ أَنَّهُ بِشُبْهَةِ اَلصَّالِحِينَ.

الشرح

أي: الذي يفهم هذا الباب يعرف كم الناس اليوم يعيشون في الغُلُوِّ؟! كم! يا الله!

هذا يُعظِّم مقبورًا مدفونًا في بلدته، وهذا يُعظِّم مدفونًا في بلدته، وهذا يغلُو في كذا، وهذا يغلُو في كذا.

المتن

- **اَلثَّالِثَةُ**: أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ اَلْأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ؟ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اَللهَ أَرْسَلَهُمْ.

الشرح

نعم، يعني: (**أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ اَلْأَنْبِيَاءِ**)؛ غُيِّرَ دِين الأنبياء بأيش؟ بالغُلُوِّ؛ قال إبليس: ما أقدر، هذا شيء يوافِق فِطَرهم؛ أيشلون أؤخِّرهم عنه؟ يبي يجذبهم من وراء، يبي يؤخِّرهم، يبي كذا.

يلهُو... يلعب... يتوب، يلهُو... يلعب... يتوب، يلهُو... يلعب... يتوب..... ما لَقِيَ شيء، هو يبي شيء مال يتوبون منه، يعتقدونه دِين؛ أيش فَعَل؟ قال: بدال ما أجُرُّهم لا يبىٰ دفهم. فدَفَعَهم دَفْعةً غَلوا وزادوا في الدِّين، فلمَّا زادوا في الدِّين ما يمن يتخيَّل أنَّ واحد يتوب إلىٰ الله من قوله يا جيلاني المدد ما يتوب إلَّا أن يتغمَّده الله برحمته.

الأصل: أنَّه ما يتوب؛ ليش؟ لأنَّه يقول: هذه عبادة ما فيها شيء. نسأل الله السلامة والعافية!

المتن

- **اَلرَّابِعَةُ**: سَبَبُ قُبُولِ اَلْبِدَعِ مَعَ كَوْنِ اَلشَّرَائِعِ وَالْفِطَرِ تَرُدُّهَا.

الشرح

ما هو سبب قَبُول البِدَع مع أنَّ الشرائع والفِطَر تردُّها؟ ليش الناس يقبَلون البِدَع؟ بسبب الغُلُو الناس يقبلون البِدَع.

وإلَّا ما يمكن لإنسان عاقل يفكِّر مع نفسه: طيب... هذا الشيء مو موجود في القرآن؛ ليش أنا أقبله؟! هذا الشيء مو مقبول في قلبي؛ كيف أقبله؟! حبُّه في فلان. بس.

المتن

- **اَلْخَامِسَةُ**: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهُ مَزْجُ اَلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ.
  - **فَالْأَوَّلُ**: مَحَبَّةُ اَلصَّالِحِينَ.
  - **وَالثَّانِي**: فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ اَلْعِلْمِ وَالدِّيْنِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ.

الشرح

نسأل الله السلامة والعافية! وهذا أخطَر ترىٰ:

(**مَزْجُ اَلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ**)؛ هذا أخطر شيءٍ في الغُلُوِّ.

(**مَحَبَّةُ اَلصَّالِحِينَ**)؛ هذا أمر حسن؛ هذا حقٌّ.

لكن تلبِيس محبَّة الصالحِين بالغُلُوِّ يؤدِّي إلىٰ الباطل، ينتُج عنه الباطل، لا سيَّما إذا كان هذا من أُناسٍ منتسبِين إلىٰ العلم، أصحاب زِي العلم، أصحاب البُشُوت، أصحاب العمائم، أصحاب الشهادات؛ هذا أطم. نسأل الله السلامة والعافية!

المتن

- **اَلسَّادِسَةُ**: تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلَّتِي فِي «سُورَةِ نُوحٍ».

الشرح

نعم؛ لأنَّ معناها: أنَّهم تعاهدوا علىٰ الكُفْر والغُلُوِّ في الصالحِين.

المتن

- **اَلسَّابِعَةُ**: جِبِلَّةُ اَلْآدَمِيِّ فِي كَوْنِ اَلْحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ وَالْبَاطِلِ يَزِيدُ.

الشرح

لماذا جِبلَّة الآدمي أنَّ الحق ينقُص في قلبه والباطل يزِيد؟

لأنَّ الآدمي جِبلَّته طِينيَّة؛ فيتعلَّق بالأمور الأرضية الملامسة له، لمَّا تقول له: الولي الصالح قبره هناك. يستأنس به؛ ليش؟ لأنَّه شيء ملموس.

بخلاف لمَّا تقول له: يا أخي، ليش تروح تدعو عند القبر؛ روح المسجد ادعُ الله. هو يجي المسجد ما يلقَىٰ شيء طيني، شيء روحاني.

ولذلك الحق ينقُص في قلب الآدمي؛ لذلك لا يزال الإنسان بحاجةٍ إلىٰ مثبِّتٍ للحق في قلبه، كيف يُثبِّت الحقَّ في قلبه؟

- يسمع كلام الله.
- يسمع كلام الرسول ﷺ.

- يُحافظ علىٰ العبادات.
- يجلس في حِلَق العلم؛ فإنَّ فيها زيادة الإيمان والطُّمأنينة والسكينة.

المتن

- **اَلثَّامِنَةُ**: أَنَّ فِيهِ شَاهِدًا لِمَا نُقِلَ عَنْ اَلسَّلَفِ أَنَّ اَلْبِدَعَةَ سَبَبُ اَلْكُفْرِ.

الشرح

هذه قاعدة مضطردة عند السلف، ما هو سبب الكُفْر؟ حبل الكُفر، بريد الكُفر، طريق الكُفْر: البِدعة.

لأنَّ -لاحظ الآن- توحيد... شِرْك؛ لا يمكن نَقْل الإنسان من التوحيد إلىٰ الشِّرْك دُفْعة واحدة؛ لازم في واسطة، ما هي الواسطة؟ البِدعة.

حينما تتأمَّل في أي شِركٍ وقَعَ علىٰ وجه الأرض تجدُ أنَّ الموحِّدين، وأنَّ المسلمِين ما انتقلُوا من الإسلام إلىٰ الشِّرْك دُفعةً واحدة؛ وإنَّما انتقلوا من الشِّرْك إلىٰ البِدعة إلىٰ الكُفْر.

وَلْنضرب مثال علىٰ هذا، مثلًا: أول ما ظَهَرَ البهاء -صاحب المؤسَّسة البهائيَّة- ما ادَّعَىٰ أنَّه الله؛ ادَّعَىٰ أنَّه رجُل صالح، فتَبِعَه أُناس، ثم ابتَدَعَ لهم شيئًا من العبادات مُغيِّرًا دِين محمدٍ ﷺ؛ فاتَّبعوه علىٰ ذلك؛ لكن في النهاية

ادَّعَىٰ أنَّ شيئًا من الحقِّ فيه. نسأل الله السلامة والعافية! الحُلو فصار أتباعه يعبدونه.

إذًا... القضايا هذه مُسلَّمة، المعاصِي بريد الكُفر، والبِدَع بريد الشِّرْك. هذه قضية أيضًا مهمة لا بد من التنبُّه لها!

طالب: ..... (٢٠:٥٥).

نعم، أهل البِدَع لا شك أنَّهم علىٰ قِسمين:

- قسمٌ يجب هَجْرهم.
- وقِسمٌ يجب ملاطفتهم ودعوتهم.

✸ **أمَّا الذين يجب هَجْرهم**: فهُم رؤساء أهل البِدَع، الدَّاعِين إلىٰ البِدَع، النَّاشِرين للبِدَع، المؤسِّسِين للبِدَع، الرافِعِين لرايات البِدَع.

✸ **أمَّا عوامُّهم**: فالواجب علينا دعوتهم، ونُصْحهم، وأُلفتهم، والإحسان إليهم حتىٰ يؤمنوا.

المتن

▪ **اَلتَّاسِعَةُ**: مَعْرِفَةُ اَلشَّيْطَانِ بِمَا تَئُولُ إِلَيْهِ اَلْبِدْعَةُ وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ اَلْفَاعِلِ.

الشرح

يعني: البِدَع ما يَلزم أنَّ كل مبتدع تكون نيَّته سيئة، لا؛ قد تكون نيَّته حسنة لكنَّ إبليس أتاه من باب الجَهْل، فركَّبه البِدعةَ وهو لا يعلَم؛ لكن مع هذا عمله مردود.

المتن

- **اَلْعَاشِرَةُ**: مَعْرِفَةُ اَلْقَاعِدَةِ اَلْكُلِّيَّةِ، وَهِيَ: «اَلنَّهْيُ عَنْ اَلْغُلُوِّ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ».

الشرح

(**اَلْقَاعِدَةُ اَلْكُلِّيَّةُ**)؛ هي: الأمر المستمرّ، والأمر الكُلِّي الضابط العظيم الذي يندرجُ تحته جزئيَّات كثيرة.

ما هي القاعدة الكليَّة هنا؟ أنَّ الشارع نَهَىٰ عن الغُلُوِّ؛ لماذا نَهَىٰ عن الغُلُوِّ؟ هذه قاعدة كليَّة.

«**الغُلُوُّ يؤول إلىٰ مفاسد كثيرة**»؛ هذه هي القاعدة الكليَّة، وأنت بهذه القاعدة تستطيع أن تُفرِّع فتُبيِّن أين أتَىٰ الغُلوُّ بالمفاسد؟

- في باب الربوبيَّة.
- في باب الأسماء والصِّفات.
- في باب الألوهيَّة.

- في باب الأنبياء.
- في باب القبر.
- في باب الأولياء.
- في باب الأُمراء.
- في باب العلماء.
- في باب الخروج.
- في باب السمع والطاعة.

في أي باب من الأبواب.

المتن

- **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: مَضَرَّةُ اَلْعُكُوفِ عَلَىٰ اَلْقَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ.

الشرح

(**اَلْعُكُوفِ عَلَىٰ اَلْقَبْرِ**)؛ أو علىٰ القبور ليس من سَنَمَ المُرسَلِين، ما عُرِفَ نبيٌّ أنَّه التزَمَ قبر أحدٍ أبدًا، بل ولا عُرِفَ وليٌّ صالح أنَّه التزَمَ قبر نبيٍّ أو قَبْر وليٍّ صالح؛ إنَّما القبور الأصل: أنَّها كان النَّهْي عن زياتهم، حتىٰ الزيارة مو العكوف؛ العكوف منهِي عنه، باقٍ علىٰ الأصل المَنْع.

لكن حتىٰ الزيارة إنَّما جاء الشرع باستثنائه وجوازه لأجل تذكُّرِ الآخرة ليبس إلَّا؛ «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةِ**» بس؛ لهذا الغرض، لهذا المَقصِد، بهذا المِقدار.

فإذا صار العكوف علىٰ القبور يؤدِّي إلىٰ لزوم القبر ليلًا ونهارًا؛ فهذا من البِدَع.

العكوف في الشرع إنَّما يكون:

في مساجد الله.

في بيت الله.

في الحرم، في مسجد الكعبة.

في مسجد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

في مسجد بيت المقدِس.

وعلىٰ هذا يُحمَل حديث «**لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ**»؛ أمَّا القبور، والأضرحة، والغِيران؛ فالعكوف عندها من فِعل أهل الكُفْر والشِّرْك عياذًا بالله!

المتن

- **اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:** مَعْرِفَةُ اَلنَّهْيِ عَنْ اَلتَّمَاثِيلِ وَالْحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا.

الشرح

نعم، لماذا؟ وهذه أيضًا قاعدة كليَّة: «التماثِيل نَهَىٰ عنها الشارع لحِكمٍ»؛ قاعدة كليَّة، من هذه الحِكم: حتىٰ لا يؤول الأمر إلىٰ تعظيمها.

ذكرْتُ هذا لأحد الناس كان من اللي بيعظِّم الصور التماثِيل يقول، فسبحان الله! بعدها بأيام أرسل لِي أحد الإخوة مقطَع لبعض الناس وهُم في روسيا يمرُّون علىٰ قبر لـ ستالِين ، كل ما مرَّ أحد نزَّل رأسه يركع له. طيب هل أحد قال لهم: اركعوا؟ لا؛ لكن مرور الزمن أدَّىٰ إلىٰ أنَّهم يحترمون هذا التمثال الذي هُم صنَعوه بأيدِيهم. هذا أمر طَبْعِي.

يقول أحد مشايخنا -وفَّقه الله وسدَّده-: ذهبتُ في دورةٍ عِلميَّة إلىٰ الهند، ثم علِمتُ بأنَّ المنطقة التي نحن فيها فيها أكبر مصنع لصناعة التماثِيل في الهند، يقول: فقلتُ في نفسي: لأذهب وأنظُر كيف ينصعُون هذه التماثِيل ويعبدونها؟ فذهبتُ وإذا برئيس المصنع يستقبلنِي، لا تتخيَّل صورة شيء إلَّا وهُم يصنعونها، بل ويصنعون تماثِيل لمُتخيَّلات، ويقول هذا الرجُل صاحب المصنع: الناس يعبدون هذه التماثِيل التي نحن نصنعُها، ويتوجَّهُون إليها، ويطلبون منها الغَوْث والمدد.

يقول الشيخ: فقلتُ له: لو أنت، أيُّ صنمٍ تعبُد؟ فأَخَذَ بيدي حتىٰ وقَفَني عند صنم، قال: هذا.

قلتُ: وأنت الذي صنعته؟! قال: نعم.

قلتُ لماذا تعبده؟ قال: والله ما أدري، وجدتُ آبائي وأجدادي هكذا.

فنَحمد الله علىٰ نعمة الإسلام... الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدِيَ لولا أن هدانا الله.

لا تظنُّ أنَّ إنسان وضَعَ صورة أسد عند بيته، وَضَع صورة كبش عند بيته أنَّ هذا أمر هيِّن، لا؛ هذا سيؤدِّي إلىٰ مخاطِر عظيمة، لو لم يكُن من المخاطِر إلَّا أنَّ الملائكة لا تدخُل بيتًا فيه صورة ولا كلب كان كافيًا؛ فما بالك والنَّهْي عن التماثِيل لحِكِم عظيمة ومتعدِّدة.

المتن

- **اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ**: مَعْرِفَةُ عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ اَلْقِصَّةِ وَشِدَّةُ اَلْحَاجَةِ إِلَيْهَا، مَعَ اَلْغَفْلَةِ عَنْهَا.

الشرح

هذه القِصَّة لا بد من ذِكْرها، قِصة سبب نشوء الشِّرْك في قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، عشرة قرون والناس علىٰ التوحيد من آدم إلىٰ عشرة قرون (ألف سنة) الناس

علىٰ التوحيد، نعم عندهم معاصِي، عندهم بعض الذنوب حتىٰ إنَّها كما تعلمُون أنَّ قابِيل قَتَلَ هابيل، تعلمون هذا ولَّا لا؟ هذا كان في ذريَّة آدم، فقبل نشوء الشِّرْك؛ ذلك:

أول ذنبٍ عُصِيَ الله في الأرض: القَتْل.

وأول شِركٍ وقَعَ: وقَعَ في قوم نوح بعد ألف سنةٍ من نزول وهبوط آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو موت آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

المتن

- **اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ -وَهِيَ أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ-**: قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ اَلتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَىٰ اَلْكَلَامِ، وَكَوْنُ اَللهِ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ حَتَّىٰ اِعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ اَلْعِبَادَاتِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ نَهْيَ اَللهِ وَرَسُولِهِ عَنْهُ هُوَ اَلْكُفْرُ اَلْمُبِيحُ لِلدَّمِ وَالْمَالِ.

الشرح

نسأل الله السلامة والعافية! تجد أُناس ينتسبُون إلىٰ العلم يقرأون هذه القصة في كُتُب التفسير، ثم إذا خلَّصوا درس التفسير سكَّروا الكتاب وراحوا هُم عند القبر يقولون: يا وليَّ الله.

راحوا عند الضريح يقولون: يا وليَّ الله.

هذا أعجب وأعجب!

المتن

- **اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ:** اَلتَّصْرِيحُ أَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا اَلشَّفَاعَةَ.

الشرح

نعم، طبعًا هذا واضح لأنَّ قوم نوح ما أنكروا وجود الله، ولا أنكروا الملائكة؛ بل قالوا: ما نظُنُّكَ إلَّا بشرًا مثلنا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧]؛ ما قالوا: في الله. ما أقول: الله ما يستحق العبادة.

إذًا... أين شِركهم؟ شِركهم في قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾

المتن

- **اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ:** ظَنُّهُمْ أَنَّ اَلْعُلَمَاءَ اَلَّذِينَ صَوَّرُوا اَلصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ.

الشرح

طبعًا العلماء الذين -لاحظوا- قلنا: أنَّ الجيل الذي بَقِيَ ممَّن أدرَكَ أولئك الرجال الخمس وَضَعوا النُّصُب، ثم نُسِيَ العلم. أو نُسِّيَ.

جاء الجيل الذي بعده أقل منهم علمًا، وهُم منتسبُون إلىٰ المشيخة علىٰ أولئك؛ فماذا فعلوا؟ عَكَفوا علىٰ القبور.

ثم الجيل الذي بعده وهُم يلبسُون لباس العلم، وأَخَذوا عن أولئك، وينتسبُون إليهم ولكن نُسِّيَ العلم أكثر فيهم؛ صوَّروا الصُّور.

في النهاية: رَكَعوا لهم، وسَجَدوا لهم، وطافوا بهم، ونَذَروا لهم، وقالوا: هُم يُقرِّبُونا إلىٰ الله. نسأل الله السلامة والعافية!

ولهذا ينبغي أن ننتبه! ما من شِركٍ يقعُ في الأرض، وما من بِدعةٍ تقع في الأرض إلَّا سببه أحد رجلَيْن لا ثالث لهما:

- إمَّا عالِمٌ مُطاع.
- أو أميرٌ مُطاع.

ما يوجد سبب آخر لانتشار البِدَع والشِّرْك؛ فانتشار البِدَع والشِّرْك سببه العلماء المُطاعُون، والأمراء المُطاعُون.

المتن

- **اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** اَلْبَيَانُ اَلْعَظِيمُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ..... إِلَىٰ آخِرِهِ**»؛ فَصَلَوَاتُ اَللهُ وَسَلَامُهُ عَلَىٰ مَنْ بَلَّغَ اَلْبَلَاغَ اَلْمُبِينِ.

الشرح

وربِّي، وربِّ الكعبة أنَّه بلَّغَ البلاغ المُبين، وقال: **(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ اِبْنَ مَرْيَمَ)**؛ وفي الأُمَّة مَن يُخالِف قوله هذا، هو قال: **(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ اِبْنَ مَرْيَمَ)**؛ وفي الأُمَّة مَن يقول: إنَّ من علومك عِلم اللَّوْح والقلم.

وفي الأُمَّة مَن يقول:

إنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وبرَّتها ** ومِنْ علومِكَ عِلم اللَّوْح والقَلَم

من جُود النبي ﷺ: الدنيا والآخرة؛ جود الله شنو سوَّىٰ؟ ما أدرِي، ما خلَّىٰ شيء لربِّ العالمِين.

هذا البيت لو قال: في حقِّ الله. لَكان مستقِيمًا

يا ربنا إنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا ** ومِنْ علومِكَ عِلم اللَّوْح وبرَّتها والقَلَم

استقام المعنىٰ في حقِّ ربِّ العالمِين؛ شو الفَرْق إذًا بينه وبين الله إذًا؟

والله سمعتُ -لعلَّ بعضكم أيضًا سَمِع في هذه الأزمنة التي نسمع فيها العجائب؛ أحدهم يلبس لباس العلم يقول: لو خَرَجَ إلينا النبي ﷺ وقال: «لا تحتفلوا بعيد ميلادي»؛ لاحتفلنا. ما شاء الله! هذا الرسول ﷺ يقول: (**لَا تُطْرُونِي**)؛ وهو يقول: لا؛ لازم أطرِي. أنت ما تعرف معنىٰ «أشهد أنَّ محمدًا رسول الله»، لو تعرف ما قلتَ هذا الكلام.

تقول: لا، الرسول ﷺ قال هذا الكلام من باب التواضُع. يعني: أنت أفهَم من الصحابة! أنت أفهَم من الأئمة!

الجهل المُركَّب رَكِبَه إبليس، فغرَّه بالتدليس؛ فأتَىٰ بهذا التلبيس. نسأل الله السلامة والعافية!

المتن

- **اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ**: نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ اَلْمُتَنَطِّعِينَ.

الشرح

إي وربِّي، وأكثر الناس الذين هَلَكوا بسبب تنطُّعهم، خلوُّهم في الأقوال، في المديح، يقولون عن بعض الأولياء المزعُومِين، أيش يقولون عنَّه؟ الوليُّ الأكبر، والكبريت الأحمر، والغَوْث الأعظم. أوصاف وألقاب والله ما قاله النصارَىٰ في عيسَىٰ.

المتن

- **اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ**: اَلتَّصْرِيحُ أَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّىٰ نُسِيَ اَلْعِلْمُ؛ فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُودِهِ وَمَضَرَّةُ فَقْدِهِ.

الشرح

لا شكَّ أنَّ العلم أنفس شيءٍ في الوجود، وفَقْده أضرُّ شيءٍ علىٰ الخَلْق، بل وعلىٰ الوجود.

ففي وجود العلم المُنزَّل: حياة الدنيا والآخرة.

وفي فَقْد العلم المُنزَّل: فقدان الدنيا، وفقدان الآخرة.

ولذلك ينبغي الحِرص علىٰ العلم المُنزَّل «قال الله..... قال الرسول.... وقال الصحابة....».

المتن

- **اَلْعِشْرُونَ**: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ اَلْعِلْمِ مَوْتُ اَلْعُلَمَاءِ.

الشرح

وهذا جاء في الحديث عند البُخاري؛ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ؛ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ**».

ونحن نرىٰ هذا عَيانًا بيانًا؛ قد مات خلال هذه الأيام وهذه السنوات كثير من علمائنا ومشايخنا. نسأل الله أن يتغمَّدهم برحمته، وأن يُبارك في الأحياء منهم، وأن يُبارك لنا وأن يرزُقنا عِلمهم، وأن يُبارك في تلامذتنا حتىٰ يأخذوا العلم ويُوصلُوه إلىٰ مَن خَلَفَ!

نكتفي بهذا القَدْر.

وصلِّ اللهمَّ علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

جزاكم الله خير.... جزاك الله خير يا شيخ حمد!

طالب: .....

اقرأ [**الواسطيَّة**] بعد.... ريِّحني.

أحد عنده سؤال يتفضَّل! أبو عمر، اتفضل!

❋ المناقشة:

سؤال: .....؟

الجواب: يعني: قصدك هل يحتمل معنىٰ (**لا تُطْرُونِي**)؛ أي: لا تخلُّوني علىٰ بالكم؟

طالب: .....؟

الشيخ: لا؛ لأنَّ كلمة «تَطرأُ» ليس من «طَرَأَ»؛ (طَرَأَ، يَطْرَأ، وتطرَأ) بفتح الراء؛ فهذا من الإطراء، يختلف عن هذاك.

ها يا شيخ خالد، كيف حالك؟

سؤال: .....؟

الجواب: نعم، هذا السؤال وجيه؛ هل كل فِعل ما فَعَلَه النبي ﷺ يدلُّ علىٰ التحريم؟ هذا سؤالك.

طالب: .....؟

الشيخ: لا لا، أنت هذا سؤالك عن هذا الكلام.

طالب: ..... ؟

الشيخ: أولًا: نريد أن نعرف مَن الذي قعَّدَ هذه القاعدة؟ كل فِعل ما فَعَله النبي ﷺ فهو يدلُّ علىٰ التحريم؟! أنا لا أعلم عالِم يقول هذا الكلام.

طالب: ..... ؟

الشيخ: لا، هذا كلام خطأ؛ لماذا خطأ؟

لأنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس كلُّ أفعاله تشريعٌ مُطلَق؛ فهناك أفعال جِبِلِيَّة. واضح؟

لكن لو قال: الأصل المضطرد عند العلماء «كلُّ عبادةٍ لم يتعبَّد بها النبي ﷺ لا يجوز التعبُّد بها»؛ هذه قاعدة.

مثل هذا أيضًا: «الأصل في العبادات المَنْع، والأصل في المُعاملات الإباحة»؛ فمثلًا: لا يأتي أحد يقول: كل ما لم يفعله النبي ﷺ يدلُّ علىٰ التحريم. هذا غير صحيح في المُعاملات؛ كل المُعاملات الأصل فيها الإباحة حتىٰ ولو لم يفعله رسول الله ﷺ.

الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- ما رَكِب سيارة؛ ما نقدر نقول: أنَّ هذا مُحرَّم.

إذًا... القول بأنَّ كلّ ما لم يفعله رسول الله ﷺ فالأصل فيه التحريم. غير صحيح؛ لكن يُقال: كل ما لم يفعله النبي ﷺ من العباديَّات فالأصل فيها المَنْع والحَظر؛ لأنَّ عندنا الأبواب ثلاثة لا تنسوها:

✸ **عندنا بابٌ عَقَدِيٌّ**: الباب العَقَدي نُثبتُ ما أثبَتَه الله ورسوله، وننفِي ما نفاه الله ورسوله، وما لم يأتِ فيه نَفْيٌ ولا إثبات نسكت عنه. هذا باب الاعتقاد.

✸ **نجي عند باب المعاملات**: الأصل في المعاملات الإباحة، ما نحتاج إلىٰ دليل، اللي يبي يمنع نقول له: جِيب الدليل.

✸ **نجي عند باب العبادات**: باب العبادات الأصل فيها المَنْع، اللي بيجيب عبادة جديدة نقول له: جِيب دليل.

فصار عندنا الأبواب ثلاثة، نُثبت ما أثبته الله وننفِي ما نفاه الله، وما ليس فيه إثبات ولا نَفْي نسكت. هذا باب الاعتقادات.

في باب العبادات: لا نُثبت إلَّا ما جاء إثباته في الشَّرْع، وما لم يأتِ إثباته في الشَّرْع ننفيه مُطلَقًا، وما سكَتَ عنه ننفيه مُطلَقًا، وما لم يفعل لا نفعله مُطلَقًا في العبادات.

في المُعاملات: لا؛ الأصل فيها الإباحة.

سؤال: .....؟

الجواب: إي ما فعَلَ؛ لكن أَذِنَ ولَّا ما أَذِنَ؟ أَمَا قال -مثلًا- في الجماعة الثانية، أليس النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**مَنْ يَتَصَدَّقُ عَلَىٰ هَذَا**»؟

طيب... إذًا كيف نقول: ابن مسعود كيف يعمل الجماعة الثانية وما فعَلَه النبي؟!

طالب: .....

الشيخ: مسألة خلافية، ما لنا علاقة.

ثم نأتي إلىٰ قضية جَمْع أنس بن مالك لأهله وذويه لخَتْم القرآن. عرفتَ؟ ما فعَلَه النبي ﷺ.

الآن السؤال: هل الجَمْع -الاجتماع نفسه- أراد بالاجتماع التعبُّد؟

إذا كان أراد به التعبُّد: نقول: نعم، هذا لم يفعله النبي ﷺ؛ كيف يفعله الصحابة؟

هو ما أراد بالاجتماع التعبُّد؛ الصحيح من أقوالهم: أنَّه أراد أن يحضُروا دعاءه، رَجِيَ أن يكون دعاؤه يُصِيبهم، يشملهم؛ فهذا الأمر وهو أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يفعله وهو دعاؤه للصحابة؛ لأنَّه كان يدعو للمسلمين ليلًا ونهارًا، حتىٰ جاء رجل إلىٰ التَّابعِي من التابعِين قال للصحابي: أواستغفَرَ لك رسول الله؟ قال: نعم.

قال: هنيئًا لك. قال: وأنت استغفَرَ لك رسول الله.

قال: وأنا؟ قال: نعم؛ لأنَّ الله قال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]؛ فقد دخلْتَ في الاستغفار؛ فالنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يدعُو بأي دعاءٍ لأُمَّته يدخُل فيه.

فزيادة فِعْل أنس في جَمْعه أهله هذا مو تعبُّد. خرجنا من هذه القضية.

مثل الآن لو جاءنا إنسان وقال: إنَّ أبا بكر جمَعَ القرآن في مُصحف، وعثمان جمَعَ الناس علىٰ قراءة.

نقول: نعم؛ لكن هل هذا الجَمْع هو تعبُّد في ذاته، ولَّا بُغية التوصُّل إلىٰ أمرٍ آخر أعظم مرادٌ للشارع، مرادٌ لرسول الله ﷺ؟

طالب: .....

الشيخ: نعم، ما ورَدَ عن النبي ﷺ مِقداره؛ لكن ورَدَ عنه أنَّه قال: «**اِسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ**» ولَّا لا؟ «**فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**» صح؟

إذًا... شو المشكلة؟

طالب: .....

الشيخ: ما في بأس.

أنا بسألك سؤال: هل للوالد أن يُوصِيَ أبناءه فيقول لهم -مثلًا-: لا ترفعوا قبري أكثر من شِبْر. يجوز؟

طالب: .....

الشيخ: يجوز.

طيب... يجوز أن يقول لأولاده: يا أولادي، لا تُقسِّموا ميراثِي إلَّا بعد ثلاثة أيام. يجوز؟ يجوز.

فهذا من باب الوصية؛ ما في بأس، أبدًا ما في بأس.

سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنتَ، أستغفركَ وأتوب إليك.